جمال البنا

المسيحية واليهودية في الإسلام
حوار بين الأديان

أهلاً بالحوار .. وإن لم يكن الحوار كافياً

(رؤيـــة للمناقشة)

أرسلت الأسئلة ـ موضوع هذه الرسالة ـ من الأستاذ الدكتور بهي الدين الإبراشي ، وهو محام دولي معروف ، عندما كان في كندا أوائل العام ، وطلب إليَّ الرد عليها بفكرة أن تكون موضوعاً لندوة يمكن لمؤسسة فوزية وجمال البنا للثقافة والإعلان أن تنظمها .

وقد قمت بالمهمة أولاً باللغـــة العربيـــة ملاحظاً التركيز والاختصـــار لتكون بمثـابة " ورقـــة عمـــل " ، ثم ترجمت إلى الإنجليزية ، وأود أن أشـكر مركز التفاهم بين العـــرب والغـــرب بالقاهـــرة (Center for Arab-West Understanding) الذي راجع الترجمة الإنجليزية ، وقدم مديره الدكتور كورنليس هيلسمان بعض الملاحظات الهامة التي كانت محل التقدير ، كما راجع أيضاً الدكتور بهي الدين الإبراشي النص العربي وقدم ملاحظاته .

* * *

ومع ترحيبنا بفكرة الحوار ، إلا أننا نطمح إلى ما يجاوز هذه الأداة ...

ذلك أن الحوار ما بين أصحاب الأديان المختلفة إنما هو خطوة للتعرف على الأديان من فم أصحابها وممثليها مما يبعد ما قد يتضمنه سوء الفهم أو تدعيه كتابات مغرضة أو حتى لا تكون الصورة كاملة ، من هنا فإن الفائدة الأولى لهذه

الحوارات هي التعرف الحقيقي على الأديان واستبعاد كل الأفكار المغرضة أو الناتجة عن سوء الفهم ، ومن حسنات هذا الحوار أن اللقاءات الشخصية تنجح في إزالة ما قد يكون قد وقر في النفس من ــ إلتباسات أو ظنون أو أوهام ــ ويتم هذا بطريقة تلقائية ومباشرة .

في الوقت نفسه فهناك خطر الانزلاق إلى معالجة قضايا مسألة العقيدة ، فهذا أمر يجب الابتعاد عنه تماما لأن كل دين له عقيدته الخاصة والأسس المعينة التي بنيت عليها ولها قداسة خاصة وحساسية تجعلها لا تدخل في إطار المناقشة أو المعالجات الجدلية ، وأي مناقشة لمسائل العقيـــدة لا يمكن أن تأخذ طبيعة الحياد وقد تؤدى إلى تعميق الاختلافات وإثارة الحساسيات ، ومن ألف وأربعمائة سـنة وجه القرآن المؤمنين : " وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ".

لهذا يجب أن يتقبل كل فريق الصورة التي يعرضها الآخر لدينه حتى وإن لم يسغها أو يفهمها ولا يحاول المناقشة فيها أو تفهمها فإذا كان هو لا يفهمهما فإن البلايين من البشر يؤمنون بها وفى هذا وحده دليل على أن فيها شيئاً يجعل هذه الأعداد الغفيرة تؤمن بها ، وعدم فهمه لها ليس دليلا على انغلاقها ، لأن العقائد كما ذكرنا لها طبيعتها الخاصة ، وعلى كل حال فإن الحرية هي حرية قبول الآخر وليست هي حرية ما نؤمن به .

كما يجب عدم التورط في الوقوع في نوع من التفاضل ، فهذا شيء يبعد التقارب ، وقد نهى القرآن اليهود والمسيحيين والمسلمين عن التفاضل فقال : " وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى

شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَـــابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " (113 البقرة) ، وقال للمسلمين : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (105 المائدة) .

وهناك مفارقة قد تحكم الحوار وتضع له حدوداً إن الحوار عادة ما يتم ما بين الممثلين الرسميين للمؤسسة الدينية في كل دين ، وهؤلاء هم الذين يمثلون العقيدة التي تعد " تابو " لا مساس بها وقد يكون هؤلاء بحكم صفتهم أبعد الناس عن التقارب مع المخالفين ، وفى نظري إن هذه الحقيقة هي المسئولة عن عدم فعالية وحيوية الحوار وانه يأخذ طبيعة"بروتوكولية ".

ولكن لم يكن هناك بد من أن يكون الحوار بين ممثلي المؤسسات الدينية رغم كل شيء لأن إغفالهم يمكن أن يثير حفيظتهم وقد يؤدى لوقوفهم موقف العداء ،، إزاء ذلك فمن الخير إشراك أحرار الفكر الديني جنباً إلى جنب ممثلي المؤسسة الدينية حتى يحدثوا نوعاً من التوازن والتعادل والانفتاح ، وصحيح أن التوصل إلى هؤلاء هو أمر اجتهادي وقابل للخطأ ،، ولكن علينا بآية طريقة ، وبكل طريقة ، أن نتغلب على هذه الصعوبات .

*** * ***

إذا كانت قضية الحوار على هذه الدرجة من التعقيد والحساسية والقصور ، وإذا كان أكبر ما يمكن أن نطمع فيه هو حسن تعرف كل فريق على دين الآخر واستبعاد الدعايات والاتهامات والتعصب وسوء الفهــم ، أفلا يمكن أن نجد " إطارا" أخر أجدى من الحوار بحيث يكون " ملتقى " يجمع ممثلي المؤسسة الدينية ، وكل المهمومين بقضية الدين ، وكل

المؤمنين بالقيم الدينية، مع عدم المساس بالجانب العقيدي في كل دين ، ويكون الغرض من هذا الملتقى معالجة قضايا تمت إلى الدين بصلة وثيقة وفى الوقت نفسه تبعد عن حساسيات العقيدة بقدر ما يكون لها أهمية كبرى في حياة المجتمع ، ومثل هذه القضايا قلما يكون هناك خلاف عليها بين المؤمنين بكل الأديان من مسلمين ومسيحيين ويهود وبوذيين الخ ، فضلاً عن أن السبب الرئيسي والمباشر لقيام هذا الملتقى ولأن يأخذ شكل التكتل هو دعم الإيمان بالدين ، كل دين وأي دين ، لأن كل دين يتعرض اليوم لهجمة عولمة دنيوية لا تؤمن إلا بالفرد ولا تعمل إلا للربح والاستمتاع وإثارة الشهوات وتستخدم القوة الوحشية من طائرات وصواريخ أو التكتلات الاقتصادية والشركات العابرة للقارات والاتفاقيات الدولية التي تبقي على الفقر والتخلف وتحول دون تقدم الجماهير والشعوب لحساب الفئات المميزة والحاكمة ، أن هذه الهجمة التي تستشرف أول ما تستشرف القضاء على حاسة ومضمون "الالتزام " وبوجه خاص الالتزام الإيماني تجعل الأديان كلها في قارب واحد وتهددها كلها بطوفان كطوفان نوح يمكن أن يقضى على وجودهم جميعاً .

إن كشف هذا الواقع وضرورة مجابهته وتقديره تقديرا يبعد عن التهوين يمكن أن يكون أكبر عامل يدفع كل المؤمنين على اختلاف أديانهم للتكتل في جبهة واحدة ، وفى مثل هذا المناخ لا يوجد مكان لحساسيات أو تفرقة بين دين وآخر لأن الكل معرض لخطر الزوال .

إن هذا الخطر الذي تتعرض له الأديان يجعلنا نأمل في أن يأخذ هذا " الملتقى " شكل التكتل النظامي الذي يوحد "أممية " مثل التي أقامها العمال سنه 1867 ولكنها أممية إيمانية .

وحتى يمكن أن نحقق هذه الفكرة الطموحة فإن" أجندة " هذا الملتقى ستكون ممتلئة وموضوعاتها كلها حارة وحيوية ، وعلى أقصى درجة من الأهمية ، فمثلاً يمكن أن يكون أول العناصر المشتركة هو مقاومة الحروب إن كل الأديان تقوم على الأيمان ولا يمكن أن يتم الإيمان بوسائل الإذعان والإرهاب من هنا فإن كل الأديان قامت على أساس الكلمة والدعوة وبتعبيـر القرآن " بالحكمة والموعظة الحسنة " .

والحروب هي أم الخبائث ، أنها تعنى تدمير البيوت والمدارس والمستشفيات ووسائل الاتصال والبنية الأرضية من صرف صحي ومياه وكهرباء وقتل لملايين الأبرياء من نساء وشيوخ وأطفال وتشويه الملايين ممن أصيبوا بجروح وأمراض وببتر أو تشويه .

ويمكن أيضًا ان يكون من بنود هذه ألا جندة مقاومة الإساءة إلى البيئة ، إن الله تعالى ائتمن الإنسان على الأرض وأعطاه القوى التي يمكن أن يفيد من طاقاتها وإمكانياتها ومن يخالف هذا الائتمان والثقة فانه يخل بهذه الثقة ويضاد ما جاء في الأديان ، وقد فشت الإساءة إلى البيئة حتى ضجت السماوات والأرض ، وشملت كل مكونات الأرض الهواء والماء والتربة والنبات وهددت التوازن البيئي الذي أقامه الله تعالى على الأرض .

كما يمكن أن تكون مقاومة التعذيب بنداً ثابتاً في أجندة هذا الملتقى ، فأي شيء أشد مقتاً عند الله من التعذيب ؟ إن الإسلام حرمه حتى بالنسبة للكلب العقور ، فكيف إذا مورس على الذين يقومون بمعارضة سياسية أو مقاومة وطنية ، أو يختلفون في المبدأ ، أو ينادون بحقوق فئات مظلومة أو يرفضون استبداد الحكام .

أن حماية الطفولة وحماية الأمومة يجب أن يكونا بندين ثابتين في أجندة الملتقى ، فأي شيء أهم من الطفولة البريئة

التي لا تملك لنفسها قوة تدفع عنها الأذى ، وقد امتدت أليها صورة رهيبة من الاستغلال ، وأي شيء أهم من الأمومة المهددة باتجاهات الاستمتاع والتملص من المسئوليات ، إن سكان أوربا يمكن أن يكونوا أقلية خلال عشرين أو ثلاثين سنة إذا ظل انحسار عدد السكان ، وفى أصل هذا ثقافة تضيق بالالتزام وتستهدف الحرية والاستمتاع .

وأتصور أن يوضع نظام لهذا الملتقى يضمن له كيانا ثابتاً ، وان تنتخب هيئة دائمة صغيرة تتولى المسئوليات الإدارية ، وتتولى دعوة الأعضاء ــ كل عامين مرة ــ وهى مدة فيها فسحة دون أن يكون فيها تباعد .

إن هذا الشكل النظامي الشـعبي للملتقى الإيماني الحر والبعيد عن الرسميات التي تعرقل المنظمات الحكومية والدولية ، والذي يتصدى بحكم إيمانه لهذه القضايا الهامة التي تهدد سلامة المجتمع البشرى بل وسلامة الأرض والكون ، يمكن أن يغير الصورة كلياً ــ من ديالوج يجدي حسب التساهيل على مجموعات محدودة ودون أجندة معينة إلى ملتقى منظم مهم يعقد كل سنتين ــ ويمكن أن يكلل بقيام أممية إيمانية تقف بجانب الأمم المتحدة وغيرها من النظم الدولية وتكون لها بحكم مرونتها وبساطتها وقيامها على الإيمان قوة ووحدة .

جمال البنا

القاهرة في 1/10/2006م

ملاحظة : يُعد النص العربي هو النص الأصلي والمعتمد .

ــ 1 ــ
العلاقة بالمسيحيين

(س) لماذا ترك القرآن قضية عقيدة المسيحيين مفتوحة في نهاية سورة المائدة ؟

(ج) يحتمل أن يكون ذلك عائداً إلي وجود من يؤمنون بأن المسيح رسول وليس إله بين المسيحيين . وتقصى تاريخ المسيحية وتطورها يظهر أن هذه الطائفة كانت كبيرة حتى جاء مجتمع نيقية وأكد قضية الثالوث وحارب كل من يخالفه. ولكنها مع هذا بقيت ولها في إنجلترا حتى الآن أتباع .

(س) لماذا لا يسمح للمسلمين بالدخول مع المسيحيين في المناقشات الحامية المتعلقة بعقيدتهم ؟

(ج) إن المناقشة في العقائد عقيمة , لأنها ليست مسائل رياضية أو مادية يصلح فيها المنطق الحسابي 1+1 = 2 ولكنها ذات طبيعة مزاجية , ميراثية وسيكولوجية ومن هنا جاء نهى القرآن عن المجادلة مع أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وأن يقولوا " **آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** " (العنكبوت 46)

(س) ما الفرق بين الكفر والشرك ؟

(ج) الكفر عدم الإيمان , أما الشرك فإنه الوثنية وتعدد الآلهة وتجسيمها في تماثيل .

ــ 2 ــ
ما هي مكونات (مضمون) الأديان

(س) أن جوهر الأديان :

1 – واجب الأساس بالعبودية لله .

2 – واجب ملاحظة أن يكون العلاقة ما بين الناس بعضهم بعضاً قائمة على أساس الوصايا العشر .

(ج) إن ما قرره السؤال صحيح فإن أول خصيصة للأديان هي :
الإيمان بالله , وأنه الخالق للإنسان و ومن ثم فأن الإنسان يعبده ويتقرب إليه .

الأمر الثاني : أن يلحظ في علاقته ما بين الناس الوصايا العشر وهذا أيضاً ما يطبقه الإسلام , وإن كانت له طريقته الخاصة في تقديم الوصايا العشر التي لا تستلزم ضرورة عدم العمل يوم السبت مثلاً ,وهو في اليهودية أثم كبير .

ولقد لخصت الآيتان 151 , 152 من سورة الأنعام مضمون الوصايا العشر (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** (151،152 الأنعام) .

(س) هل يمكن القول بأن رسالة الدين تضمن تقدماً ؟

(ج) لا جدال في أن الأديان الإبراهيمية الثلاثة قد خدمت قضية تقدم الإنسان عندما عرفته علي الله تعلى وعندما قدمت دستوراً يتمثل في الوصايا العشر وما قدمته آيتا 151-152 من سورة الأنعام فقد دعم ذلك الضمير الذي هو في أصل كل تقدم سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي .

(س) هل هناك ثلاث ديانات أو أنه دين واحد متكرر ؟

(ج) يقرر الإسلام أن الدين واحد بمعنى أن كل الأديان تقوم على الإيمان بالله وتطبيق توجيهات الوصايا العشر (التي تمثلها الآيتان 151 – 152 من سورة الأنعام) ..

وهو يرى أنها كلها إسلام لأن معنى الإسلام في اللغة العربية هو إسلام القلب لله وهذا هو Essence أو جوهر الدين .

أما ما يوجد من اختلاف في العقيدة بين الأديان فأن الإسلام يعيدها إلى ما اعترى النصوص المقدسة في اليهودية والمسيحية من تحريف إما نتيجة للترجمات المتكررة , أو تحقيقاً لمصالح المؤسسة الدينية ، والاختلافات المذهبية .

ومعروف أن نصوص التوراة والأناجيل لم تكتب إلا بعد فترة طويلة بعد حياة أصحابها وهذه جوانب تاريخية ثابتة . وكان يمكن أن تحدث للقرآن لولا أن القرآن الذي هو بين أيدينا لم يكن ثمرة لترجمة . فقد نزل بالعربية , وكتب فوراً وقت نزوله ، وإن لم تجمع سوره إلا في عهد الخليفة عثمان بعد 15 سنة من وفاة الرسول .

ولكن هناك بجانب هذه الأديان ذات الأصل الواحد شرائع مختلفة , لأن الشرائع غير العقائد. إن الشرائع تتناول "الدنيويات" وهذه تختلف من عصر إلى عصر و

وربما أيضاً من شعب إلى شعب . ولهذا فإنها تكون متغيرة وقد قرر القرآن " **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** " (المائدة 48).

أي أن جوهر الأديان واحد ولكن شرائعها مختلفة و وبهذا يمكن الجمع بين عنصر الحفاظ والثبات وبين عنصر التطور والتغيير.

(س) لماذا يمكن لمسيحي أو يهودي أن يصبح مسلماً ولا يجوز لمسلم أن يكون مسيحياً أو يهودياً و وهل يعود هذا إلى التمييز ما بين عدم الانفتاح والاستبعاد .

(ج) هذا سؤال خاطئ لأن المسلم من حقه أن يرتد عن الإسلام إذ لا يمكن أن يوجد في هذا المجال – مجال الإيمان – قسر أو إكراه أو ضغط ونص القرآن صريح " **لا إكراه في الدين** " (256 البقرة) ، وقد نكر القرآن الردة بالاسم خمس مرات في سور مختلفة ، ولم يقرر عليها عقوبة كما ارتد بعض المسلمين عن الإسلام في عهد الرسول ومنهم واحد من كتبة القرآن فلم يتتبعهم الرسول بعقوبة , فحرية العقيدة إيماناً وكفراً مقررة في القرآن بنصوص قاطعة مكررة لأكثر من خمسين مرة ، بل أكثر من هذا أن القرآن يقرر أن الإيمـــان والكفر قضية شخصية لا يجوز للنظام العام , أو لأي مؤسسة أو أفـــراد أن يتدخلوا فيها لأن الله تعـــالى غني عن العالمين ولن يفيده إيمان المؤمنين , كما لا يضـــره كفر الكافرين وإنما يريد الله من الأديـــان منفعة الناس . وقد قرر في أكثر من آيـــة (**فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِـــهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**) (الزمر 41).

وأفهم أن يكون هذا الكلام جديداً على معظم الناس , بما فيهم المسلمين أنفسهم لأن الإسلام تعرض لما ما تتعرض له الأديان من مؤثرات كان منها وضع أحاديث ملفقة , إما كيداً في الإسلام أو رغبة في تعميق الإيمان, كما كان منها تحول الخلافة إلى ملك عضوض من سنة 40 هجرية وقيام نظام الحكم على أساس وراثي ووصول الدولة الإسلامية إلى مرحلة الإمبراطورية كل هذه العوامل جعلت الفقهاء يضعون حداً للردة معتمدين على حديث ينسب إلى الرسول وقد رفض الإمام مسلم تقبله ولكن البخاري تقبله وهو يقول "من بدل دينه فاقتلوه" وآثار الوضع واضحة في صيغة الحديث ومنافاته لعشرات الآيات القرآنية التي تقرر حرية الاعتقاد . ولكن الفقهاء عندما تقبلوا هذا الحديث فلم يكن ذلك حماية للإسلام ، ولكن حماية النظام القائم بدليل أن الفقهاء وضعوا صيغة " **من جحد معلوماً من الدين بالضرورة** " يعد مرتداً ، وبهذا أمكن إلصاق تهمة الردة بكل من يخالف النظام . وقد عالجنا هذه النقطة في عدد من كتبنا .. فندنا فيها كل دعاوى الفقهاء عن الردة بما في ذلك ما يطلقون عليه حروب الردة في عهد أبي بكر .

ومع أن المذاهب الإسلامية كلها تأخذ بفكرة حد الردة و فإن الجهود الحديثة في هذا الميدان قد جعلت الأزهر يتراجع شيئاً ما فيقرر أن يستتاب من يرتد عن الإسلام أبداً – أي طوال حياته , بحيث استبعدت عقوبة القتل أو أي عقوبة أخرى .

ونعتقد أن الأزهر يرحب بالرجوع عن هذا الحل وأن يعود إلى رأيه القديم إذا فترت جهود المفكرين الإسلاميين الأحرار في تأكيد حرية الاعتقاد بناء علي أعلى لأسس الإسلامية " القرآن والرسول" .

ــ 3 ــ
مجال الإسلام

(س) هل لدى الإسلام إجابة على كل شيء في الحياة .أو إنه إنما يقدم قواعد معينة دينية , ويترك الباقي لتحكمها بطريقة دنيوية, وهل تتحقق الهداية بفضل المبادئ الدينية دون أن تفرض عليه ؟

(ج) الإسلام يضم العقيدة , وهي الإيمان بالله ورسوله وكتبه واليوم الأخر , وهذا هو الجانب الديني الخالص الذي يمثل صلب العقيدة وبجانب العقيدة توجد "الشريعة" التي تضم الجوانب الدنيوية من تشريع والعلاقة ما بين الناس والمجتمع أي العلاقة ما بين الحاكم والمحكوم , الغني والفقير ,الرجل والمرأة الخ .....وهي التي تسمى الشريعة وفي هذا القسم يضع القرآن خطوطاً عريضة ولا يقدم صيغة محددة فهو في السياسة مثلاً يندد بالاستبداد وحكم الفرد ويجرم كل صور الظلم والاستغلال ويوجب الشورى ويعطي الشعب حق مسائلة الحاكم باعتبار ذلك من التكافل الاجتماعي الذي يوجبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويفترض أن يقوم به كل فرد , وفي الاقتصاد يحرم الاستغلال والربا والاكتناز كما إنه يضيق بالترف والثراء ويرى أن من أسباب تحلل المجتمعات وجود طبقة مترفة حاكمة وهو في الاجتماع يساوى ما بين المرأة والرجل الخ ....

والإسلام يضع في الشريعة قواعد عامة .ولكنه قد يضع أحكاما معينه كما في بعض العقوبات المقدرة بالنص وفي المواريث ولكن من الأصول المقررة في الفقه الإسلامي أن هذه الأحكام إنما صدرت " لعلة " أو لسبب أو حكمة , وهي عادة تحقيق العدل الذي هو أساس الشريعة كلها . وأن هذا السبب كان متوفراً عند صدور هذه الأحكام . ولكن إذا جعل التطور هذا السبب منعدماً أو تغيرت صورته , فيمكن عندئذ إيقاف الحكم وتعديله بما يحقق العلة أو السبب الذي من أجله صدر – وهو كما قلنا – العدل . وقد طبق عمر بن الخطاب في وقت مبكر جداً هذا الأسلوب .فأوقف أحد مصارف الزكاة وأوقف حد القطع في السرقة عام المجاعة الخ ...

(س) هل يفترض أن يكون كل واحد مسلماً وهل معنى أن الإسلام قد أرسل إلى "العالمين" إن هذا يعنى أن يؤمنوا به أو أن ذلك يمكن فحسب ؟

(ج) كلا على الإطلاق وقد قرر القرآن أن الرسول نفسه لا يمكن أن يهدي من يحب " **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** " (القصص 56)... ولامه على حرصه على إيمان أحد كبراء قريش وقال "**وما عليك ألا يزكى**" (عبس 7) .. وقرر تأييد الاختلاف وأن المسلمين لن يؤمنوا بغير الإسلام ، وأن غير المسلمين لن يؤمنوا بالإسلام وعلى هذا وضع المبدأ الهام " **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** " (الكافرون 6) .

لم يعط القرآن الرسول سلطة سوى التبليغ فحسب " **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** " (الكهف 29) ، وإنه ليس حفيظاً على الناس ولا جباراً , ولا حتى وكيلاً " **قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ** " (الأنعام 66)ـ ـ "ـ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** " (الأنعام 107)ـ ـ "ـ **فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ** "(108 يونس)، "**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**"(الزمر 41)، "ـ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** "(الشورى 6)، وإنما دوره أن يقوم بالتبليغ فحسب، وقرر القرآن الثواب لغير المسلمين "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** "(البقرة 62) ، كما إنه قرر أن الفصل ما بين العقائد والأديان كائنة ما كانت إنما هو لله وحده يفصل فيها يوم القيامة "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"(الحج 17) .

وقرر القرآن بلغة صريحة أن الناس جميعاً لن يؤمنوا بالإسلام , وأن الله تعلى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكنه لم يشأ هذا , بل أراد التعدد القائم على أساس " **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** " . وهذا لا ينفي أن يكون الإسلام عالمياً , أنزل للعالمين فمن شاء قبله ومن شاء رفضه ..

(س) إذا كان عليهم أن يتبعوا القرآن فكيف يمكن أن يتفق ذلك مع التزام الله تعالى بأن يرسل نبياً لكل شعب أو إنه لا يوجب عليهم مسئولية وهل هناك فرق بين رفض الإسلام أو عدم انفتاح الإسلام ؟

(ج) في الرد على السؤال السابق بعض ما يوضح هذه القضية إن التعددية الدينية هي ما يؤمن به الإسلام , ووجود الديانات بعضها جنب بعض هو ما يقبله , بل ما يقرره , لأن جميع الناس لن يؤمنوا بدين واحد إسلاماً أو غير إسلام ..

وليس هناك محل لوضع السؤال لأن القرآن قرر التعددية الدينية , وحـق كـل دين في الوجود ولا يعد عـدم الإيمـان بالإسـلام "رفضـاً" لـه لأن الأغلبيـة العظمى من الناس في العالم (في أوروبا وأسيا , وأفريقيا) لا تعلم حقيقـة الإسـلام وبالتـالي فمن الطبيعي إنها لا تؤمن بـه . وقـد قـرر القـرآن أن لا مأخـذ على من لا يعـرف الإسلام لأن الإسلام لا يؤثم إلا من يعادي الإسلام بعد أن يعلم حقيقته , وهذا الإثم ليس له أثر في حياته الدنيا وإنما يكـون مـرده إلى اللـه يـوم القيامـة ليحكم فيـه برحمة تعد رحمة الأم لطفلها جزء من مائة جزء هي رحمة الله ..

ــ 4 ــ

من هو المسلم ؟

(س) لماذا وصف القرآن المسيحيين – اليهود (مثل موسى ومن اتبعه) وكثيراً من أنبياء اليهود وملوكهم بأنهم مسلمين ؟

(ج) لقد أجبنا على السؤال من قبل ولكن لا بأس من الإعادة إن كلمة " إســلام " تعني في اللغــة العربية إسلام الوجه والقلب لله , ولما كان ذلك هو الخصيصة المميزة للأديان الإبراهيمية الثلاث ، فقد أطلق القــرآن على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى الخ ... كلمـــة " مسلمين " ...

وهناك سبب أخر هو أن الله في الإسلام هو خالق الكون بأسره , وخالق بـني آدم وإنه بهذا المعنى يضم الديانات كلها .

(س) وإذا كان الجميع مسلمين لماذا أعطى القرآن المسلمين رمز الهداية ؟

(ج) ليس الإسلام وحده هو الذي يدعي الاستحواذ على الهداية , إن كل الأديان تدعيه , لأن المؤمنين بأي دين يرون دينهم الأفضل – وإلا لما آمنوا به ومن ثم نجد هذه الظاهرة في كل الأديان . ولكنها على اقلها في الإسلام لأنه يعترف بكل الدينات . ولا يرى أن الإيمان بدين يعني بالضرورة نبذ الآخر لأنه قرر مبدأ " **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** " (الكافرون 6) .

ــ 5 ــ

العلاقة باليهودية

(س) هل الادعاءات عن اليهود تختلف عن الادعاءات عن مختلف المسلمين التي تختلف حول قضايا العقيدة أو المسلمين المنافقين ؟

(ج) إن حديث القرآن عن اليهود يختلف عن حديثه عن المسلمين الذين قد يختلفون في مسائل العقيدة كالمعتزلة والمرجئة أو الشيعة مثلا ً , فهم رغم اختلافهم مسلمون يؤمنون بلا إله إلا الله محمد رسول الله . وكذلك هو يختلف عن حديثه عن المنافقين لأن المنافقون يظهرون غير ما يكنون , ولكن الإسلام لا يمكن أن يحاسبهم عما في نفوسهم , وإنما يحاسبهم على الظاهر وهم يظهرون الإسلام ...

(س) كيف يمكن الاتساق ما بين العقيدة الواحدة بين المسلمين واليهود والدعاوى المضادة , هل السياسة تختلف عن العقيدة ؟

(ج) الإسلام يعترف باليهودية كدين , بل يرى إنها أول دين توحيدي و وقد أحترم أنبياءهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والأسباط وما أوتى موسى وعيسى , بل جعل الإقرار بنبوتهم جزء من كمال العقيدة الإسلامية .

ولكن الإسلام أنتقد بقسوة سياسة اليهود تجاه الإسلام وإنهم ناصبوه العداء وساعدوا المشركين , لأنهم لا يؤمنون بأنبياء من غير نسل إسرائيل...

إن السياسة تختلف بالطبع – عن العقيدة فالعقيدة قيم عليا والسياسة مصالح عملية ألم يقل المسيح " **مملكتي ليست في هذا العالم** " .

(س) هل كان اليهود أيام الرسول يمثلون كل يهود العالم , أو أن هناك قبائل أخرى يهودية تسكن دولاً أخرى؟

(ج) أعتقد أن حملة القرآن على اليهود إنما كانت موجهة نحو اليهود في المدينة الذين قاوموا الإسلام وتآمروا عليه , ومعروف بالطبع أن اليهود كانوا يوجدون في مناطق أخرى في الشرق منها فلسطين والشام وأؤكد أن عداوة الإسلام إنما كانت ليهود المدينة , وأن هذه العداوة جاءت نتيجة لتآمر اليهود على الإسلام وتعاونهم مع مشركي مكة ونقضهم التحالفات التي كانت قائمة بينهم وبين المسلمين ، أما غيرهم فلا مبرر لعداوتهم ..

ومن المهم أن نذكر أن الرسول عندما قدم إلى المدينة وضع وثيقة مكتوبة جعل الأنصار – وهم السكان الأصليين للمدينة – والمهاجرين وهم المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فراراً من اضطهاد المشركين و واليهود المتحالفين مع الأنصار **أمة واحدة** لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأنهم يتكافلون بالمعروف ويدافعون عن المدينة ..

إن هذه الوثيقة قد تكون الأولى التي حققت المواطنة , وجعلتها لكل الذين يعيشون على أرض واحدة بصرف النظر عن الدين كما في حالة اليهود أو الأصل كما هو في حالة المهاجرين الذين كانوا أصلاً مكيين ..

وعندما تآمر اليهود على الإسلام فإنهم نقضوا هذه الوثيقة . كما أن المهم أن القرآن أقر بأن في أهل الكتاب (اليهود) أناس شرفاء يؤتمنون ويوفون بعهودهم وأن منهم أيضاً من لا يسدد ما أؤتمن عليه إلا بعد المماطلة **" وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون "**(75 آل عمران)....

(س) هل الادعاءات ضد اليهود موجهة إليهم بغض النظر عن الزمان أو إنها كانت موجهة ضد اليهود في عهد الرسول محمد ؟

(ج) ما جاء في القرآن عن اليهود من نقد ينطبق على يهود المدينة في عهد الرسول الذين قاوموا الإسلام . أما بقية اليهود فلا ينطبق عليهم لأن من أصول الإسلام أنه **" وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى "** (الأنعام 164) ، أي لا يتحمل فريق برئ مسؤولية فريق مذنب آخر ، ولا ينفي هذا أن القرآن قد أشار إلى بعض ما جاء في التوراة من تمرد اليهود على أنبيائهم ونكثهم بالعهود , ولم يذكر القرآن هذا الجانب السيئ إلا بصفة عامة , وليس بالتفصيل الذي جاء في العهد القديم ، ومن الصعب أن نطالب القرآن بأن يكون أحن على اليهود من كتابهم " التوراة " .

(س) ما هو الميثاق الذي أعطاه الله للشعب اليهودي وهل هو سياسي أي قابل للتطبيق في الوقت الحاضر ؟

(ج) لا يعرف الإسلام موثقاً من الله لليهود . أن الله في الإسلام هو إله الكون كله , وإله الناس جميعاً ولم يخص العرب المسلمين بشيء , أما ما جاء في العهد القديم من أنه تعالى وعد إبراهيم , ثم إسحاق , ثم يعقوب " إسرائيل" ثم موسى بهذه الأرض من نهر الفرات إلى نهر النيل . فهذا ما لا يؤمن به الإسلام , بل ويستبعده , بل ويراه كما لو كان العمل الوحيد لهذا الإله هو أن يكرر هذا الوعد من إبراهيم ثم إسحاق , ثم يعقوب ثم موسى . كأنه أهم شيء لديه , وماذا يفعل هذا الإله ببقية الناس في العالم – بل ماذا يفعل بالناس الذين يعيشون في هذه المنطقة قبل إبراهيم . وقد كانوا موجودين وتعامل معهم إبراهيم . إن وعد بلفور اشترط عدم المساس بهم عندما أعطى لليهود وطناً قومياً في فلسطين ، فهل يكون وعد بلفور أشد معرفة وحرصاً على العدل من وعد إله بني إسرائيل .

(س) هل تؤثر السياسات في الشرق الأوسط في تحديد العلاقة مع اليهود على أسس دينية وهل هذا غير معقول ؟

ج – إن سياسة الشرق الأوسط لا تحدد العلاقة مع اليهود على أساس الدين , والدليل على هذا وجود أقلية يهودية في كل الشرق الإسلامي وأن هذه الأقلية كانت تتمتع بكل حقوق المواطنة ويصل بعض أفرادها إلى مناصب الوزارة بل كانوا يهيمنون على الاقتصاد وكانت هذه هي سياسة الشرق الإسلامي تجاه اليهود حتى ظهرت الصهيونية وحولت الدين إلى دولة مغلقة متعصبة من هنا بدأت التوترات , أما قبلها فلم تكن هناك أي حساسية بالنسبة لليهود وكان اليهود يعيشون في كل أحياء المدن المصرية أعني إحياء الذوات للأثرياء من اليهود والأحياء العادية للطبقة الوسطى مسلمين ويهود دون تمييز كما لم يكن هناك جيتو..

ــ 6 ــ

هل يمكن التعايش مع الأديان الثلاثة

س – كيف يمكن حل التوتر ما بين تأكيد الإسلام التعايش ما بين الديانات الثلاثة مع أن هناك حملة ضد اليهود؟

ج – الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعترف صراحة , ومراراً باليهودية والمسيحية , بل وذكر أن هناك أنبياء لم يذكرهم القرآن بالاسم وقد خص اليهود بمنزلة خاصة وجعل منهم الأنبياء والملوك وأعتبر إبراهيم رأس الأديان الإبراهيمية الثلاثة . كما أثنى على المسيحية وكرم السيدة مريم العذراء وجعلها سيدة نساء العالمين فضلاً عن أن الأديان الثلاثة " أسرة " واحدة أبوها إبراهيم الذي أنجب إسماعيل الذي منه نشأ رسول الإسلام وإسحاق والد يعقوب (إسرائيل) واعتبر موسى وعيسى من بين خمسة أنبياء مميزين هم " نوح وإبراهيم وموسى وعيسى و محمد " ، وكل هذه الأديان ظهرت ما بين شبة الجزيرة العربية والعراق ومصر وفلسطين .

ولم يذم اليهود إلا لنكثهم ولتآمرهم على الإسلام وفكرتهم أن الأنبياء محصورون فيهم كما أشار إلى بعض ما أفاض فيه العهد القديم من تقلباتهم على أنبيائهم . إن ما يدين اليهود ليس هو القرآن , ولكن التوراة ..

وقرر القرآن الثواب لغير المسلمين " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** " (البقرة 62) ...

كما إنه قرر أن الفصل ما بين العقائد والأديان كائنة ما كانت إنما هو لله وحده يفصل فيها يوم القيامة "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"(الحج 17) .

وقرر القرآن بلغة صريحة أن الناس جميعاً لن يؤمنوا بالإسلام , وأن الله تعلى لـو شاء لجعل النـاس أمـة واحـدة ولكنـه لم يشـأ هـذا , بـل أراد التعـدد القـائم على أساس " **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** " (الكافرون 6) .

(س) كيف يمكن حل التوتر ما بين نقد عقيدة تأليه المسيح في حين أن العلاقة بين المسيحيين والمسلمين كأفراد حسنة , وهل السياسة غير الإيمان ؟

(ج) إن نقد ألوهية المسيح لا تعني المساس به – لأنه في الإسلام رسول عظيم وأمه السيدة مريم سيدة نساء العالمين – فضلاً عن أن اختلاف الأديان لا يوجد عداوة لأن الإسلام يتقبل التعددية الدينية على أساس المبدأ القرآني " **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** "(الكافرون 6) ، وما يقرر العلاقة ما بين الأفراد من مختلف الأديان هو مواقفهم من الإسلام , ولم يظهر المسيحيون عداوة للإسلام عندما ظهر بل كانت العلاقة دائماً حسنة . وقد أثنى عليهم القرآن وهاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة المسيحية لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد كما قال الرسول محمد

لقد قلنا من قبـل أن السياسـة تختلـف عن الإيمـان لأن السياسـة مصـالح دنيويـة والإيمان قيم أخروية . ولهذا لابد أن يكون هناك اختلاف.